الأنانية
وحب الذات

اسم الكتاب: الأنانية وحب الذات

المؤلف: سماحة الشيخ حسن الصفار

عدد النسخ: ٣٠٠٠

الطبعة: الأولى ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ

وَيَخْشَوْنَهُ

وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ

وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾

(الأحزاب/ ٣٩)

مقدمة الناشر:

الأمة الإسلامية التي تعيش اليوم نهضة إسلامية شاملة ويحتدم صراعها مع قوى الشر والفساد التي طالما نهبت خيراتها وهيمنت على مقدراتها: هي بأمس الحاجة إلى الأفكار والبصائر الرسالية التي تساهم في ترشيد المسيرة ودفعها قدمًا بالاتجاه السليم.

وهذه السلسلة التي نقدمها لجماهير الأمة، هي عبارة عن مجوعة محاضرات ألقيت في مناسبات مختلفة ولأهمية الأفكار والقضايا التي طرحت فيها، ارتأينا ضرورة كتابتها وطباعتها بعد إدخال بعض التعديلات الأدبية عليها...

نرجو المولى تعالى أن يتقبلها بقبول حسن، ونسأله أن يفرج عن أمتنا وينصرها.. إنه ولي التوفيق.

الناشر

الفصل الأول

الغرائز ودورها في الحياة.

الغرائز ودورها في الحياة

تتركز في أعماق كل إنسان من الدوافع أو الغرائز الفطرية التي تصاحبه منذ ولادته وبعضها يتبلور كلما ترعرع وتفاعل مع البيئة الاجتماعية.

والغرائز جمع غريزة وهي اسم مشتق من الغرز كغرز المسمار في الجدار أما معناها الاصطلاحي فعلى الرغم من اختلاف علماء النفس في تحديد عدد الغرائز إلا أنهم متفقون على أن الغريزة قوة كامنة في الكائن الحي تدفعه إلى أنواع مختلفة من السلوك، والغرائز هي

المحركات الأولى لكل سلوك[١]. إذن هي القوة الراسخة في النفس والمتلاحمة فيها بقوة بحيث لا يمكن أن نتصور إنسانًا بدون غرائز.

ويعرف الدافع أحياناً بأنه حالة من التوتر تثير السلوك وتواصله حتى يخف التوتر هذا أو يزول فيستعيد الفرد توازنه. كأن الدافع اضطراب يخل توازن الفرد فيسعي الفرد إلى استعادة توازنه. فالدوافع لا نلاحظها مباشرة بل نستنتجها من الإتجاه العام للسلوك الصادر عنها فإن كان السلوك متجهًا نحو الطعام استنتجنا دافع الجوع، وإن كان متجهًا نحو الشراب استنتجنا دافع العطش وهكذا.

والإنسان يولد مزودًا ببعض الدوافع الأولية الفطرية، وهذه الدوافع هي الأساس الأول في السلوك الحيوي وهذا ما اتفق عليه علماء النفس، إلا أن الإنسان كأي كائن حي آخر يعيش في بيئة معينة يؤثر فيها ويتأثر بها، أي يتفاعل معها. وهذه البيئة تضطره إلى التعديل من بعض دوافعه الأولية الفطرية وتكوين بعض العادات الانفعالية، وينشأ ما نسميه بالدوافع المكتسبة[٢].

بمعنى أن الإنسان الذي يعيش في بيئة إسلامية يختلف في طريقة توجيهه لغرائزه عن الإنسان الذي يعيش في مجتمع رأسمالي أو

(١) مبادئ علم النفس للدكتور مختار حمزة ١١٩.

(٢) نفس المصدر

اشتراكي بل قد تنشأ لديه دوافع جديدة من منطلق ديني، كما أن اختلاف البيئات الطبيعية لها دور في تغير أشكال الغرائز ولكن يبقى جوهرها واحد ويعرف ماكدوجال الغريزة بأنها (استعداد عصبي نفسي يدفع صاحبه إلى أن ينتبه ويدرك مثيرات من نوع معين ويشعر بانفعال من نوع خاص عند إدراكها ويسلك نحوها مسلكًا خاصًا، أو على الأقل يشعر بدافع إلى أن ينزع نحوها هذا المسلك)[١].

وقد حدد العلامة المدرسي في كتابه المنطق الإسلامي مراحل الغريزة بثلاث مراحل: مرحلة الحاجة البيولوجية، فمرحلة الإحساس الحيوي، ثم مرحلة الضغط على النفس، ويقول: ونستطيع أن نسمي المرحلة الأولى بالغريزة، والثانية بالشهوة، والثالثة بالهوى.

ويقول: في موضع آخر أن النصوص الإسلامية تؤيد ارتباط الغرائز بالبنية الترابية للإنسان بذات القوة التي أيّدتها النصوص العلمية[٢].

والواقع أن كل غريزة من هذه الغرائز الفطرية التي تعبر عن حاجات معينة للإنسان تقوم بدور إيجابي في حياته، فالله سبحانه

(١) المصدر السابق.

(٢) المنطق الإسلامي للعلامة المدرسي / ص ٢٤٨.

وتعالى لا يخلق غريزة أو عضو في الإنسان إلا لهدف بيد أن ما نلاحظه من انحرافات عند الكثير من بني البشر مرده ليس الغرائز وإنما الإرادة التي تحدد مسار الغرائز إضافة إلى العقل الذي أوتي القدرة على تعديل الميول فقد يسخّر الإنسان عقله وذكاءه لظروف معينة من التربية وأجواء الفساد والضلال والتنافس السلبي والعقائد الخاطئة إلى إشباع غرائزه بشكل سيء فيؤثر على الحالة النفسية بالنسبة له وعلى الأمن الاجتماعي بالنسبة للمجتمع، فالغرائز لا يمكنها أن تؤدي إلى انحراف إلا إذا ضعفت الإرادة وتعطل عمل الضمير والوجدان وفشل العقل في التحكم والسيطرة على السلوك.

طرق التعامل مع الغرائز:

وقد أثيرت حول هذه الغرائز موجات من الجدل حيث انقسم الناس حولها إلى مذاهب كل مذهب له نظرته الخاصة تجاه الغرائز وبناءًا على هذه النظرة فقد اتخذ أسلوبًا يختلف عن غيره في التعامل معها، نحاول هنا أن نستطلع هذه المذاهب.

المذهب الأول: التنكر للغرائز وكبتها..

يرى أصحاب هذا المذهب وأتباعهم أن الغرائز شر يجب التخلص

منه إذا ما أردنا للحياة الإنسانية أن تسعد وتتكامل وذلك بإتباع مختلف الأساليب التي تعمل على قمعها وكبتها حتى لا ينجر الإنسان إلى سلوك الحيوانات وحتى يرتفع إلى مصاف الملائكة من الصفاء النفسي وهذا يتطلب إتعاب الجسد بالعبادة والتنسك والعزوف عن ملذات الدنيا، فهم يقولون أن هناك علاقة بين الجسم والروح وهذا العلاقة علاقة تنافي وتضاد فكلما عذبت الجسم أسعدت الروح وكلما نعمت الجسم أشقيت الروح وهذا المذهب ذهب إليه قسم كبير من المسيحيون كرد فعل على انتشار الجرائم والمشاكل بسبب الخواء الروحي وتقديس الغرائز وإفساح المجال لها في العلم الغربي كما أن قسمًا من المسلمين آمنوا بهذا المذهب وحاولوا أن يكبتوا غرائزهم ويعيشوا زهادًا عبادًا في الحياة ليس لهم أي دخل بما يجري في الحياة (وقد كان أكثر الفلاسفة وعلماء الأخلاق قبل فرويد ينبذون الغرائز، أي أنهم كانوا يصرّحون أحيانًا ويلمّحون أحيانًا أخرى بأنها عوامل تجر الإنسان إلى الخصائص الحيوانية وكانوا يؤكدون على أن التمدن الصحيح لا يمكن أن يتحقق في المجتمع إلا بالصراع العنيف مع تلك الغرائز التي كانوا يعتبرونها (أرواحاً حيوانية) وبعبارة أخرى فإن هؤلاء المتفكرين، كانوا يقولون بأن هذه الغرائز تمنع البشرية من التكامل، ولو كان يمكن أن تفقد من المجتمع بالمرة كان

من السهل إيجاد حياة اجتماعية متكافئة ومتزنة)[1].

وقد انتشر هذا المذهب في الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية والهندية والفارسية وما زال صداه إلى الآن تحت اسم التصوف.

المذهب الثاني: إطلاق العنان للغرائز...

ويرى أصحاب هذا المذهب ضرورة فتح الباب على مصراعيه للغرائز حتى يشبع الإنسان حاجاته ولا يصاب بأمراض وعقد نفسية بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وقالوا إن الإنسان خلق من أجل إشباع شهواته وغرائزه، فهو هدفه في الحياة أمثال فرويد وسارتر وماكدوجال، يرى ماكدوجال: (إن الكائنات الحية مدفوعة لتحقيق إغراض مرسومة سواء شعرت بها أم لم تشعر، ولهذا السبب زودتها الطبيعة بعدد معين من الدوافع الكامنة أو القوى الموجهة، هي الغرائز لأجل أن تحقق هذه الأغراض وتسمى نظرية ماكدوجال بالنظرية الغرضية)[2].

ويقول فرويد إن جذر الغرائز هي الغريزة الجنسية وعلى الإنسان أن يشبعها بأي طريقة كانت فيقول: (إنه لا يفوتني الإدراك بأن

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية.

(٢) مبادئ علم النفس ص١١٩.

الحب هو مركز الحياة، وعليه فإن الناس يعللون كل فرح ونجاح بالحب والمحبوبة وهذا الوضع النفسي موجود عند الجميع، إن من المظاهر التي يظهر فيها الحب وهو الحب الجنسي الذي يكسبنا حالة من الانجذاب والشعور باللذة. وفي النتيجة فإن هذه اللذة تكون قدوة ودليلاً لميلنا نحو السعادة. فإن شيء أذن أقوم من أن نسلك الطريق إلى السعادة في نفس الطريق الذي صادفنا أول مرة)[1].

أما سارتر فيرى أن غريزة حب الذات هي الغريزة الأساسية التي تتفرع منها بقية الغرائز ومن حق الإنسان أن يشبعها بالطريقة التي يراها وليس من حق أحد أن يمنعه.

وهكذا نرى الحرية في العالم الغربي تفسح المجال لكل إنسان ليشبع غرائز حب التملك والسيطرة والشهوة الجنسية وغيرها كيفما شاء وكيفما اتفق.

المذهبان خاطئان:

والواقع أن كلا المذهبين خاطئان وقد جاء كل واحد منهما كردة فعل للآخر وليس من دراسة معمقة لواقع الإنسان وكيانه.

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية.

فخطأ مذهب الكبت للغرائز يكمن في:

أن الغرائز الموجودة في كيان الإنسان وجودًا أصيلاً منذ الخلقة إنما أوجدها الله لحكمة وهدف وليس عبثًا وجزافًا، فإذا كنا نعتقد بحكمة الله فلماذا نحاول أن نلغي هذه الغرائز من كياننا وكأنها شر أو شيء غير مرغوب فيه يجب إزالته فالله رحيم بعباده لا يمكن أن يزرع الشر في ذواتهم. أن للغرائز أهدافًا سامية أولها حفظ الذات وحفظ النسل وتسيير عجلة الحياة، وإذا اصرينا على ضرورة كبت الغرائز فنحن حينئذ سنكون مثل ذلك العابد الذي فكر في أن استعمال عينيه في النظر إلى الدنيا نوع من الإسراف فاخذ له شيئًا من الطين ووضعه على إحدى عينيه وصار ينظر إلى الدنيا وإلى الأشياء بعين واحدة وحينما استفسر منه أخوه مستنكرًا عليه فعلته. أجاب العابد: أعلم يا أخي إني زاهد في الدنيا وقد رأيت أن النظر إلى الدنيا وقضاياها بعينين نوع من الإسراف فأغلقت إحداهما وتركت الأخرى. فردّ عليه أخوه قائلًا: منذ متى وضعت الطين على عينيك؟ فأجاب العابد: منذ بضعة أشهر. فقال أخوه: إذا كنت مؤمنًا فيجب أن تعتقد بحكمة الله، فالله حكيم ويعلم أنك تحتاج إلى عينين وإلا فبإمكانه أن يخلقك أعور. ثم إنك تصلي والصلاة من شرائطها غسل الوجه وحينما وضعت الطين فالماء لم يصل إلى جزء من بشرة وجهك

ووضوئك هذا يكون باطلًا وصلاتك يجب أن تعيدها!!

فنحن إذا تعاملنا مع الغرائز معاملة التنكر لها وعدم الاعتراف بها يعني أننا تنكرنا بحكمة الله من وراء إيجادها وخسرنا فوائد هذه الغرائز.

و ثانياً: أن الغرائز ما هي إلا تعبير عن حاجات طبيعية و فطرية في الإنسان لا يمكن كبتها مهما حاول الإنسان وادعى وإذا ما حاول أن يخنقها أو يكبتها وهو في الواقع يكبت بعضها وليس جميعها فإنه يصاب بعقد نفسية مختلفة تدمر حياته.. فالإسلام الذي جاء لإسعاد البشرية كان له موقف حازم من أولئك الذين يحاولون أن يكبتوا غرائزهم وقد نقل لنا التاريخ قصة ثلاثة أشخاص حاولوا أن يسيروا على هذا المنوال فمنعهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). فقد جاء ثلاثة رهط بيوت الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فسألوا عن عبادته، فلما اخبروا كأنهم تقاولوها: فقالوا: (وأين نحن من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر). أما أحدهما فقال: (أني أقوم الليل كله) وأما الثاني فقال: (أصوم الدهر ولا أفطر) وأما الثالث فقال: (لا أتزوج النساء) فلما حضر الرسول (صلوات الله عليه وآله) وأخبروا بما قالوا، جمع المسلمين في المسجد وخطب فيهم فقال:

«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا والله إني لأقربهم إلى الله أخشاهم له ولكني أصوم وأصلي وأرقد وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني»(1)

وقد جاء في كتب الأحاديث أن امرأة سألت أبا جعفر (عليه السلام) فقالت: «أصلحك الله إني متبتلة فقال لها: وما التبتل عندك؟ قالت: لا أريد التزويج أبدًا، قال: ولِمَ؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: **انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة (عليها السلام) أحق به منك، إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل**»(2).

ويقول الرسول **(لا رهبانية في الإسلام)** ومن هذه الأحاديث و الروايات و أمثالها نستشف حقيقة ظاهرة وهي أن كبت الغرائز مخالف للشرع ومتعارض مع الصحة والسلوك السوي.

خطأ مذهب إطلاق العنان للغرائز..

على الرغم من أن الغرائز تعتبر من المحفزات الأساسية لتطور البشرية وبعث النشاط والحيوية في نفوس الشعوب إلا أن مثابها كما يعبر عنه أكثر العلماء كالنهر الجاري العاتي الذي يمكن أن يدمر

---

(1) قبسات من حياة الرسول ص١٢٢.

(2) ميزان الحكمة/ ج٤/ ص٢٧٤.

المدن والقرى والأرياف حينما يتجاوز القنوات التي تعمل على تصريفه بالشكل المفيد. فكما النهر الذي يعبر عامل رئيسي لسعادة الشعوب القائمة على ضفافه حينما لا يتجاوز حدّه كذلك الغرائز تمد الإنسان بطاقة كبيرة حينما يتم استفادة منها بالشكل المعقول والسليم.

أما إطلاق عنان للغرائز فهو يدعو الإنسان للإفراط وهذا الإفراط لا يقتصر ضرره على الشخص وحده بل يؤثر على مجتمعه فالإفراط في الطعام والشراب مثلاً يؤدي إلى أمراض جسدية ونفسية لذلك يقول الله تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف ـ ٣١)

فكيف بالإفراط في الغريزة الجنسية وغريزة التملك وحب الذات والزعامة.. كلها غرائز تدمر كيان المجتمع على السواء حينما لا توضع رقابة عليها تحذو بها نحو الاتزان والاعتدال وتوجهها في قنواتها الصحيحة.. وهذا ما حدث فعلًا في المجتمعات الغربية حينما أطلق العنان لشهوات الإنسان وغرائزه حيث تحولت الحياة هناك إلى جحيم من المآسي والمشاكل وفقدت الحياة قيمتها وهدفها.

ومن أجل أن نعرف فداحة ما حدث في الغرب جرّاء إطلاق العنان للشهوات دون قيود وضوابط نستعرض الحقائق التالية:

صرّح مدير مركز (ترك إدمان المخدرات) أن ٣٠٪ من الأمريكيين البالغين يتعاطون المخدرات أو المشروبات الكحولية، و ٠٨ , ٦ من النسبة المذكورة غير مدمنين، وقد بلغت أموال تجارة المخدرات في العام الماضي حوالي ١١٠ مليار دولار.

كما ذكر رئيس إحدى الجمعيات الأمريكية لحماية الشباب من المخدرات أنه شاهد أطفال ما بين السابعة والثمانِ سنوات وهم يقومون بتعاطي المخدرات والذي أصبح أمرًا مألوفًا في نيويورك، كما قال بأن نصف مليون طفل أمريكي يعانون من خطورة المواد المخدرة، وطبقًا لتقرير نشره المجلس الوطني للآباء المعلمين فإن طالبين من كل ثلاثة طلاب في المدارس الثانوية يتعاطون المخدرات، ويضيف التقرير أن تعاطي الكوكايين قد تضاعف في المدارس الثانوية من عام ١٩٧٩م ما بين الشباب الذين تبلغ أعمارهم (١٢ ـ ١٧) سنة.

وقد جاء في أحد الاستطلاعات أن من المحتمل أن يتعاطى ١١٪ من طلاب المدارس الذين يبلغوا من العمر (١٢ –١٤) سنة مادة الكوكايين.

وذكرت وكالة أنباء رويتر عن تقرير حكومي أمريكي صدر مؤخرًا في واشنطن أن (٥ , ١) مليون اعتداء أو محاولة اعتداء جنسية مؤخرًا وقعت في أمريكا خلال (٧٣ –٨٢) وجاء في التقرير أن أكثر من

نصف ضحايا الاعتداءات الجنسية لم يبلغوا الشرطة الأمريكية بالحوادث نظرًا لفقدان الثقة بالنظام القضائي أو من عمليات الانتقام.

كما أعلن الدكتور. روبرت غالو مكتشف مرض الأيدز أن حوالي مليوني شخص أمريكي يعانون من هذا المرض، في الوقت الذي بلغ عدد الأوربيين المصابين بهذا المرض خلال السنتين الماضيتين مساويًا لهذا الرقم. وينتشر هذا المرض أيضًا في الساحل الكاريبي.

ومما يذكر أن أكثر من مليون شخص في الولايات المتحدة يحملون في أجسامهم فيروس المرض القاتل.

ويذكر مصدر طبي أن شخصين من كل خمسة أشخاص في أمريكا بدئوا باتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد المرض (الأيدز) الآتي من فساد الأخلاق والتحلل الجنسي، حيث رفض بعضهم عمليات نقل الدم. ولكن فقط ١٣٪ منهم قرروا تجنب العلاقات الجنسية الشاذة[١].

المذهب الثالث: تنظيم وضبط الغرائز..

وهذا المذهب يرفض كلا المذهبين، وهو المذهب الإسلامي الذي

---

(١) الحقائق العدد٢.

يرى أن الغرائز ليست شياطينًا يجب أن تكسر رؤوسها وليست آلهة يجب أن تعبد وتلبى لها كل رغباتها وإنما يعتبر الغرائز هي نعمة من نعم الله على الإنسان ينبغي أن يعي الطريقة المثلى في التعامل معها حتى يستفيد منها في تطوير ذاته وكيانه وبناء حضارته ولكنها قد تتحول إلى وحش كاسر يدمر كل من يقف أمامه إذا ما أسيء التعامل معها أو يتحول الإنسان حينما يقمعها إلى كيان آخر مآله الفناء والاندحار.

وقد أعطى الإسلام تشريعات واضحة للتعامل مع الغرائز من منطلق الاعتراف بها فالله سبحانه وتعلى الذي خلق الإنسان و أوجده على هذه البسيطة ويعلم ما يدور في كل خلية من خلايا جسمه المليونية، هو ذاته الذي أرسل رسالة الإسلام وجعلها تتناسب تناسبًا أصيلاً مع كيانه، وحينما خلق في الإنسان الغرائز أراد للإنسان أن يستفيد منها ويستغلها في العمل الخير، ومن هنا شرع لها تشريعات.

الفصل الثاني

غريزة حب الذات.

غريزة حب الذات

إن غريزة حب الذات والتي هي مجال حديثنا غريزة متجذرة في نفس الإنسان لا يمكن إنكارها او التنكر لها بل ربما تكون هي أصلاً وأمّا لبقية الغرائز الأخرى رغم أن النظرية الماركسية تتنكر لها.

فالماركسيون والشيوعيون يزعمون بأن حب الذات ليست غريزة في الإنسان وإنما هي طبع يكتسبه الإنسان من مجتمعه فحينما يعيش الإنسان في مجتمع برجوازي، رأسمالي، تنمو عنده غريزة حب الذات، بيد أن الإنسان إذا ما عاش في ظل نظام اشتراكي فإن طبع حب الذات يتلاشى وتذوب مصلحة الفرد في المجموع، ومن هذا

المنطلق يقيم الاشتراكيون نظامهم الاقتصادي على هذا الأساس فينكرون الملكية الفردية ولا يتعرفون بها ويقررون تذويب الفرد في المجتمع، فالفرد في المجتمعات الاشتراكية ليست له قيمة، وإنما القيمة الوحيدة هي للمجتمع وعلى الفرد أن لا يفكر في ذاته كفرد بل يفكر في المجتمع. ولكن هذه الفكرة تصطدم مع طبيعة الإنسان وواقع البشر.

وعلى افتراض قمع غريزة حب الذات فإن هذا القمع لن يؤدي إلى قتل الغريزة نهائيًا واقتلاعها من أعماق الإنسان بل سوف تخرج كلما سنحت الظروف لها والشيوعيون أنفسهم الذين ينكرون غريزة حب الذات بماذا يفسرون وجود المساوئ والمفاسد والانحرافات والمخالفات للأنظمة الماركسية التي يصنعونها؟ أليس هو نابع من حب الذات. وهم يقولون بأن حالة حب الذات تنشأ في الإنسان الذي يعيش في المجتمعات الرأسمالية والبرجوازية بسبب ممارسته للملكية الفردية والصحيح أن الإنسان لأنه جبل على حب الذات لذلك يمارس الملكية الفردية، ثم ماذا يفسرون نشأة الطفل الطفل الصغير الذي لا يفهم من الدنيا شيئًا اسمه برجوازي أو رأسمالي مع ذلك فالطفل يمارس غريزة حب الذات فيأخذ أشياء لنفسه ويتنافس مع الأطفال الآخرين معه إنها طبيعة فطرية ذاتية طبيعية عند الإنسان

والتطورات الأخيرة التي حصلت في الاتحاد السوفيتي وخاصة بعد مجيء (غور باتشوف) للسلطة تعتبر تراجعًا واضحًا عن الكثير من الأفكار والطروحات الماركسية الشيوعية..

التعامل مع غريزة حب الذات

إذن تجاه غريزة حب الذات كيف يجب أن يكون موقفنا؟ هل نطالب الإنسان أن يتنكر لها ويفكر في مجتمعه فقط، أم يطلق العنان لها؟

لقد أودع الله هذه الغريزة في الإنسان وعن طريق هذه الغريزة يحمي الإنسان نفسه ويخاف على حياته، فإذا لم يحب نفسه فلن يحب الخير لذاته ولن يدفع الشر عن نفسه، وإذا أفرط الإنسان في حب ذاته فإنه يضر نفسه ومجتمعه فيستعمر الآخرين ويستثمر جهودهم ويعتدي على ممتلكاتهم وحقوقهم، هذا شيء طبيعي حتى قال الشاعر:

وَالظّلـمُ مـن شِيَمِ النّفـوسِ
فـإن تجـدْ ذا عِفّـةٍ فَلِعِلّـةٍ لا يَظْلِـمُ

فلأن الإنسان عنده غريزة حب الذات فإنه يتحين الفرص ليأخذ من الآخرين لذاته.

فليس من المعقول أن نفتح المجال ونطلق العنان للإنسان حتى

يمارس هذه الغريزة كيفما يشاء.

إذن ما هو الطريق؟

الطريق الصحيح ما اختاره الإسلام للبشرية، انظروا إلى الحل الرائع الذي يقدمه الإسلام لهذه المشكلة المستعصية في حياة الإنسان، الإسلام يقول يجب أن نطور مفهوم حب الذات عند الإنسان، بعبارة أخرى: الإسلام يرشد الإنسان إلى الطريقة الصحيحة لحب ذاته وخدمة نفسه، كيف؟

الإنسان لديه نظرة: أنه يمتلك فرصة واحدة في الحياة الدنيا ولا يوجد فرصة سواها كل واحد يعيش فترة في هذه الحياة ثم تنتهي مدته وينتهي كل شيء.

حينما تتمكن هذه الفكرة من الإنسان ويتصور أن حياته فقط في الدنيا فإنه يبني حساباته على هذا الأساس فما دامت الفرصة الوحيدة أمامي هذه الدنيا وأنا أحب ذاتي وفي الدنيا شهوات ولذات ومتع أهواء ومصالح فالنتيجة المعقولة هي أن أمتع نفسي وأوفر لها كل ما تحتاج من الشهوات واللذات ولو كانت على حساب الآخرين.. يقول أحد العلماء إن هؤلاء الماديين إذا لم يعملوا بهذا الطريقة ويشبعون أنفسهم بالملذات فهم مجانين، ما داموا لا يعتقدون بالآخرة..

ولهذا فالإسلام يوجه الإنسان ويقول له: انتبه أن هذه الفكرة هي

مكمن خطأك ومصدر شقائك، من قال لك أن تعيش سنوات ويأتي الموت ويسدل الستار على مسرحية الحياة؟

هل الله يوجد هذه الحياة من أجل أن يعيش الإنسان سنوات ثم يمضي وكأنه لم يكن شيء؟

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون-١١٥)

الإسلام يخاطب الإنسان ويقول: أيها الإنسان وجودك في هذه الحياة ما هو إلا وجود مؤقت ما هو إلا مرور سريع في هذه الدنيا، أمامك حياة أخرى ومادمت تحب نفسك فيجب أن تخدمها في الدارين، في هذه الدنيا تعيش خمسين أو ستين أو سبعين سنة ولكنك في الآخرة ستعيش دار الخلود ملايين السنين. فإذا كنت تحب نفسك هل من العقل في شيء أن تسعد مئة سنة وتشقى مليون سنة؟؟

فإذا كنت في الدنيا تريد أن ترتاح وتأكل وتشرب وتمارس الغريزة الجنسية وتمتلك. أفلا تريد مثل هذه الأمور في الآخرة فإذا كنت تريدها فلماذا لا تعمل لأجلها؟ وهذا يستدعي من الإنسان أن يؤطر غرائزه بالأطر التي أمر بها الإسلام وتصب في القنوات التي سمح بها الإسلام فالغريزة الجنسية يجب أن يكون مصرفها الزواج المشروع حب التملك يجب أن يحدث عن طريق الكسب الحلال

والمشروع.. على أن لا تكدس تلك الأموال والأملاك دون أن تفيد منها المجتمع..

هذا المفهوم من حب الذات مفهوم شامل يوسع مدارك الإنسان ويسير به نحو التقدم والتخلص من الإخطار والمشاكل والتوازن بين الحياتين مصداق الدعاء الوارد في القرآن الشريف:

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة ـ ٢٠١)

فأنت في هذه الدنيا لا تقبل لنفسك أن تأكل القاذورات لكنك حين تسرف في هذه الغرائز وتشبع رغباتك الشهوانية بالحرام فإنك في الواقع تمهد لنفسك لأكل القاذورات التي هي أقذر مما في الدنيا إنها قاذورات الآخرة التي يصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله:

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (الغاشية ـ ٦)

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (الحاقة ـ ٣٥/٣٦)

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (المزمل ـ ١٢/١٣)

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان ـ ٤٥/٤٦)

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ (ص ـ ٥٧)

والغساق هي فضلات أهل النار تخرج من أجسامهم تعاد لهم ثانية فيأكلونها، فهل يرتاح الإنسان لأكل مثل هذه القاذورات؟!

فلماذا إذن يجري البعض كجري النهر الغاضب وراء الشهوات والملذات دون أن يتطلع إلى الآخرة ويكون له مستقبلاً سعيدًا هناك أن مثل هؤلاء يخاطبهم القرآن الكريم ويقول:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (الاحقاف ـ ٢٠)

ومن ناحية ثانية فإن الإسلام يوجه نظر الإنسان إلى نوعية اللذات التي يكتسبها الإنسان في هذه الحياة، فهناك لذات مادية وأخرى معنوية، واللذات المعنوية لا تقل إسعادا للإنسان حينما يمارسها عن اللذات المادية بل قد يفوقها حينما يفهم الإنسان الممارسة للملذات المعنوية فقد فطر الله الإنسان وخلق فيه استعدادات وميول للذات المادية الجسمية والمعنوية.

فعلى سبيل المثال خدمة الوطن حينما يخدم الفرد وطنه فإنه لا

يستحصل من ذلك لذة مادية وإنما لذة معنوية لأنه قد يضحي بماله وبأهله وبنفسه في سبيل حماية وطنه وتقدمه فهل هذه لذة مادية أن يقتل الشخص في سبيل حماية وطنه؟ كلا.

ولأن الإسلام ينسجم مع فطرة الإنسان وقائم على المعرفة الكاملة بطبيعة الإنسان فقد وجه الإنسان إلى لذاته المعنوية وأطر نظرته للذات المادية ويترك الطبيعة المعنوية التي هي أيضًا جزء رئيسي من كيانه إذا فقده فقد إنسانيته وأصبح كسائر المخلوقات الحيوانية.

من هنا فالإسلام يحث المؤمن على التضحية والعطاء وخدمة الآخرين وعلى الجهاد والإيثار.

والإنسان حينما يمارس هذه الأعمال التي تشكل عطاءً من ذاته وليس أخذًا لذاته وهو عارف بقيمتها فإنه يشعر بلذة عميقة تغمر كيانه إلى الأعماق، أين منها لذّات أصحاب الشهوات والأهواء.

كمثال على ذلك لو أن شخصًا في يوم من الأيام ذهب إلى عمله وحصل على ١٠٠٠ دينار من تجارته لا ريب أنه سوف يفرح كثيرًا وفي المقابل لو أن مؤمنًا أنفق في سبيل الله ١٠٠٠ دينارًا بشرط أن يكون عارفًا بقيمة ما ينفقه فلا ريب أن لذته سوف تكون أعمق من لذة ذلك الإنسان الأول.

والإسلام حينما يحث على الإيثار لا يقصد جلب الألم في نفس المؤثر بل جلب الراحة خصوصًا حينما يرى أولئك الذين انفق أمواله عليهم يعيشون في سعادة فإنه يرتاح إلى هذه السعادة بشكل كبير، ويلفتنا القرآن الكريم إلى صفة من صفات المؤمنين المخلصين ويقول:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر ٩)

فعلى الرغم من حاجة الإنسان في بعض الأحيان إلا أنه يتنازل عن هذه الحاجة في سبيل إغناء الآخرين المحتاجين كيف يرضى الإنسان لنفسه أن يترك حاجته ويتوجه إلى سد حاجات الآخرين؟ لا يفعل ذلك إلا من أيقن بدور هذا العطاء فلأنه يحب ذاته حبًا حقيقيًا أعطى الآخرين مما عنده وآثرهم على نفسه لأنه يعتقد أن هذا الإيثار ينفعه يوم القيامة يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت ـ ٤٦)

أن ذلك الشخص الذي يعطي طعامه للآخرين وهو جائع لم يخسر أبدا وإنما ربح، فهو يشبه إلى حدٍّ بعيد التاجر الذي يضع رأس ماله في مشروع ليستلم أرباحه فيما بعد.

وأهل البيت عليهم السلام خير قدوة لنا في الإيثار ففيهم نزل قوله تعالى في سورة الدهر:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان ٧/ ٨/ ٩/ ١٠)

(وعن ابن عباس أنّ الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما، إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا، وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعًا، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه، وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صيامًا، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله، فلما أبصرهم وهم يرتعشن كالفراخ من شدة الجوع، قال ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها، قد

التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبرائيل وقال: خذها يا محمد هنّاك الله في أهل بيتك، فاقرأه السورة)[1].

هذا هو المفهوم الصحيح لحب الذات، فالإنسان الذي يحب ذاته يجب أن يعرف أنه بالعطاء يحب ذاته ويخدمها ويوفر لها سعادة هانئة في المستقبل جربوا أيها الإخوة اللذة المعنوية، لذة العطاء أن تأكل أو أن تعطي، قد يبدوا للواحد منا أنه عندما يأكل يلتذ أكثر لكنه لو جرّب أن يعطي لاكتشف أن عطاءه يوفر له لذة أكثر.

إن الإنسان يخطئ في حبه لذاته حينما لا يفهم الفهم الإسلامي الصحيح لحب الذات، فهو يريد أن ينفع نفسه فيضرها، يريد أن يحب ذاته فيؤذيها.

الأنانية مرض خطير يصيب الإنسان فهي تعني حب الذات بطريقة معكوسة هل رأيت حب الذات بطريقة معكوسة؟

نعم، أن من يحصر إسعاد الناس بالملذات الدنيوية المادية وينسى اللذات المعنوية فهو يضر ذاته ولا ينفعها، وعنهم قال الله تعالى:

﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ (الكهف ـ ١٠٤)

---

(١) أخلاق أهل البيت ص ٧٩.

الفصل الثالث

داء الأنانية.

داء الأنانية

الأنانية مرض أخلاقي يصيب الإنسان حينما يطلق العنان لغريزة حب الذات لتوجه شخصيته وعلاقته بالآخرين فهذه الغريزة عمياء كبقية الغرائز الأخرى ليس لها مركز سيطرة وإنما يتم السيطرة عليها وضبطها بالعقل وقوة الإرادة، وخطر هذه الغريزة قد يفوق خطر كل غريزة لأنها تستخدم بقية الغرائز لإشباع نفسها فتتفجر غريزة الجنس وغريزة السيطرة وغريزة الإجرام و الغضب.. وعلاجها قد يؤدي إلى الحد من طغيان الكثير من الغرائز الأخرى في الإنسان ذلك أن التطرف في حب الذات الذي يسمى بالأنانية أو عبادة الهوى والذات

هو في الواقع مرض مسبب لأمراض أخرى، ومن هنا تكمن أهمية معالجة هذا المرض الخطير على الإنسان وعلى المجتمع.

مراتب الأنانية:

إن الأنانية لها مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى:

التمحور حول الذات..

إن التمحور حول الذات يعني أمرين، الأول: أن يعيش الإنسان لذاته فحسب، فيوظف كل طاقاته وإمكاناته وجهوده لصالح ذاته وتحقيق الرفاهية لحياته الخاصة ويرفض أن يصرف ولو جزءًا صغيرًا من طاقاته لخدمة الآخرين أو القيم و المبادئ لذلك فهو يتابع الأخبار التي تصب في أساليب الترفيه وتسهيل الحياة وزيادة المكاسب والمصالح ويغض طرفه عن الأخبار التي تتعلق بالمجتمع أو الأمة طالما لن توفر له أي ميزات لذلك حينما يسمع عن مآسي مجتمعه أو أمته يسمعها ككلمات جوفاء لا روح فيها ولا يجد نفسه مسئولًا عن بذل أدنى جهد أو دفع أقل مبلغ لتوفير الحياة لشخص يتضور جوعًا أو عذابًا في سجون الطغاة أو يبني مؤسسة خيرية تعمل على تثقيف المجتمع فضلًا عن الدخول في سوح الجهاد.

أن يعيش الإنسان لذاته يعني أن يوفر لها أكبر قدر ممكن من الملذات والشهوات والمصالح، فيعيش في دائرة مغلقة (دائرة الأنا) يعمل ليعيش ويعيش ليعمل فيصدق عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها**»[1].

والأمر الثاني هو تحول ذات الإنسان الأنانية إلى قيمة عليا يقيس بها كل شيء وينظر من خلالها إلى كل شيء وتسقط كل قيمة يرجع إليها أو مثل أعلى يحتكم إليه على العكس تمامًا عن الإنسان السوي الذي حينما تعرض عليه فكرة أو نظرية من النظريات فإنه يخضعها لمقاييس عقلية أو مبدئية لاكتشاف صحتها أم خطأها، أما الإنسان الأناني فإنه يُخضع الأفكار والرؤى التي تعرض عليه إلى مقاييس المصلحة الشخصية والربح والخسارة، وهو مستعد أن يضحي بكل القيم السائدة في المجتمع سواء منها الديني أو المبدئي أو العرفي.. ويدوسها تحت قدميه إذا تعارضت مع مصلحته ومنفعته، غير أن الإنسان الذي يؤمن بقيم ومُثل وتتركز عواطفه تجاهها فإنه على استعداد أن يضحي بذاته ومصالحه من أجل تلك القيم والمثل.

والأمر الخطير في تقديس الذات هو تحول الذات إلى إله يعبد كما

---

(١) نهج البلاغة كتاب ٤٥/ ١٥.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (الفرقان ـ ٤٣)

ويقول شاعر الأنانيين:

جربت ألف عبادة وعبادة

فرأيت أفضل عبادة عبادة ذاتي

هكذا تصبح شهواته وهواه إلهًا مقدسًا لديه مفترض الطاعة فالحق ما وافق الهوى والباطل ما خالفه، ويوضح الله سبحانه وتعالى سبب مخالفة ورفض الكثير من المشركين للأنبياء والرسالات الإلهية بقوله:

﴿**أفكلما جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ (البقرة ـ ٨٧)

المرتبة الثانية:

ظهور الأخلاق والصفات الأنانية..

مرض الأنانية مرض عضال ولأنه عضال فهو يتفاقم وتزداد مضاعفاته وأعراضه في شخصية الإنسان الأناني وهنا نتطرق إلى أهم الصفات السيئة التي يفرزها مرض الأنانية:

١) التعصب...

الإنسان الأناني الذي يتمحور حول ذاته يصاب تلقائيًا بمرض

التعصب للرأي وللجماعة وإلى كل شيء يمت إليه بصلة مهما كان رأيه خاطئًا أو جماعته تسير على طريق خاطئ ومهما كان رأي الطرف المقابل صحيحًا وواضحًا ونحن نلاحظ مثل هذه الأصناف في المجتمع حيث نرى بعض الأفراد لا يعجبهم أن يتنازلوا عن آراءهم مهما تسوق إليهم من أدلة وبراهين لإقناعهم فدائمًا يعتبرون آرائهم هي الصحيحة وهي المفيدة وعداها باطل ومضر ومخالف للشريعة أو للواقع أو للحقيقة.. إن البعض من أبناء المجتمع المصابين بأمراض الأنانية ينطبق عليهم ذلك المثل العربي الذي يعطينا مفهوم التعصب (عنزة ولو طارت) وهو مثلًا يضرب على الإنسان المتعصب وقصة هذا المثل هو أن اثنين من الأعراب كانا يمشيان في الصحراء فبدأ لهما جسم أسود على مسافة بعيدة عنهما فقال أحدهما: هذا طائر كبير فقال الثاني: لا، إنه عنز، فانتظرا لكي يقترب الجسم ليعرفوا حقيقته وبعد لحظات اقترب منهما قليلاً ثم بدأ يطير في الجو بجناحيه فالتفت الشخص الأول وقال: ألم أقل لك إنه طير كبير، فقال صاحبه مصرًّا: إنه عنز، فقال له: ألا تراه يطير في الجو بجناحيه، فقال: أبدًا والله (عنزة وطارت).

يقول العلامة المدرسي:

يتعصب البشر لأفكاره بدافع حب الذات، ويجادل عنها،

ويستكبر دون معرفة ما يقابلها ودون الانفتاح على ما سواها.

ويتعصب أيضًا لكل فكرة تكسبه نفعًا، أو تدفع عنه ضرًا، ويتلون بها حسب الظروف، وينغلق دون غيرها حتى ليعمى بصره.

ويغتر بجهله، ولا يذل نفسه ـ حسب ظنه ـ بالسؤال، أو البحث عن الحقيقة، أو التسليم لمن ينادي بها، لمجرد الظن بأن في ذلك منقصة لذاته، التي يحبها، وإلى هذه الغريزة ترجع عوامل الحسد والحقد والعناد النفسية)[1].

عن الباقر عليه السلام:

«**أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأيًا فيحب عليه ويبغض عليه**»[2].

وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى هذه الصفة واعتبرها من صفات الكفار يقول تعالى:

﴿**وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا**﴾ (الأعراف ـ ١٤٦)

٢)التكبر..

التكبر يعني أن يرى الإنسان نفسه أفضل من الآخرين وأعلى

---

(١) المنطق الإسلامي.

(٢) الميزان/ ج٥/ ص٦٢.

وأعلم بسبب الاعتبار المضخم أو فكرة الإنسان عن نفسه فالإنسان الأناني ينظر إلى نفسه نظرة مضخمة.

وصفة التكبر من الصفات الأكثر ذمًا في القرآن الكريم والنصوص الشرعية بل لا نكاد نرى صفة مذمومة مثلها فآيات القران الكريم تشن هجومًا عنيفًا وتحمل حملة شعواء على صفة التكبر وعلى المتكبرين فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ (الزمر ـ ٦٠)

﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ (الأعراف ـ ١٤٦)

﴿**فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ (النحل ـ ٢٩)

وعندما نتصفح المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نرى عشرات الآيات التي تذم التكبر والمتكبرين.

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«**إياك والكبر، فإنه أعظم الذنوب وألأم العيوب وهو حلية إبليس**».

«**شر آفات العقل الكبر**».

«**أقبح الخلق الكبر**».

ويقول الباقر عليه السلام:

«ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قلّ ذلك أو كثر»(١).

وصفة التكبر هي ذاتها التي أخرجت إبليس من الجنة حينما قال متكبرًا:

﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

فهذا العالم العابد قد سقط من مصاف الملائكة والمقربين إلى قعر نار جهنم بلحظة تكبر ولأهمية هذا المشهد فقد تكرر كثيرًا في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، فإذا كان إبليس سقط في لحظة تكبر فكيف من يعيش من البشر وهم كثيرون طول حياتهم متكبرين متجبرين؟

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة له (١٩٢) في نهج البلاغة:

«فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد... عن كبر ساعة واحدة، فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟!..

فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه، وأن

---

(١) ميزان الحكمة ج٨/ ٢٩٨-٣٠٠.

يستفزكم بندائه...».

وفي الحديث الشريف عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): **«لن يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»**[١].

وورد في صفة المؤمن أنه لا يرى أحدًا إلا وقال إنه خير مني فإن كان الذي رآه صالحًا اعتقد أنه أفضل منه، وإن لم يكن صالحًا قال لعله يتوب ويتغير وضعه فيصبح أفضل مني عند الله.

وعن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من ذهب له على الآخر فضلًا فهو من المستكبرين، فقلت له: إنما يرى إن عليه فضلاً بالعافية إذا رآه مرتكبًا للمعاصي، فقال: هيهات، هيهات! فلعله أن يكون غفر له ما أتى وأنت موقوف محاسب، أما تلوت قصة سحرة موسى عليه السلام»[٢].

٣) حب الظهور (الرياء)..

وحب الظهور والشهرة تعني رغبة الإنسان أن يعرف الناس عنه أنه إنسان صالح أو غني أو كبير بهدف استعطاف الناس وتسخير

---

(١) ميزان الحكمة/ ج٨/ ٣٠٤.

(٢) ميزان الحكمة/ ج٨/ ٣٠٦.

قلوبهم من أجل التقرب منه ومدحه والثناء عليه لذلك فمحب الشهرة دائمًا يذكر أعماله ومشاريعه وإنجازاته صغيرها وكبيرها وتارة يضيف عليها ما لم يعمل راغبًا التعظيم والتفخيم والاحترام وكسب الآخرين.

فإذا كان هذا الشخص ضمن الذين يمارسون العمل الإسلامي فإنه يحب أن يظهر اسمه على صفحات الجرائد و الحملات وإنجازاته على صهوة الأثير.

وعلى المرائي الذي يحاول أن يتحدث عن أعماله وإنجازاته أن يتذكر هذا الحديث:

«**من عمل عملاً ثم تحدث به أمام الناس المرة والمرتين فالثالثة يحبط عمله**».

فقول الإنسان الذي عمل عمل خير أنني فعلت كذا وكذا حبًا للظهور يحبط عمله ويستثنى منه من يقول ذلك لتشجيع الآخرين على عمل الخير.

إن أولياء الله كانوا يتخفون بأعمالهم فكان الإمام علي عليه السلام يتصدق كل ليلة على الفقراء بحيث لا يعرف أحدًا من الفقراء من هو الذي يعينه ويتصدق عليه وهكذا ينبغي للإنسان المؤمن هذا الأمر، الأمر الذي يصعب على الإنسان المرائي.

٤) الغرور:

حالة نفسية تعتور الأناني من الشعور بالقوة والعظمة والكمال فيتصور أنه في قمة الخير والفضل بينما الواقع خلاف ذلك فشأنه شأن العطشان الذي يبحث عن الماء فيتصوره في السراب الذي يتراءى له من بعيد وقد وردت أحاديث كثيرة بشأن الغرور موضحة حقيقته وعاقبته ومحذرة منه.

وللإمام الصادق عليه السلام كلمة رائعة ننقلها لأهميتها:

«المغرور في الدّنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى، ولا تعجب من نفسك، حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك أن لعلك تبقى.

وربّما اغتررت بحالك ومنيتك، وأصابتك مأمولك وهواك، وظننت أنك صادق ومصيب.

وربّما اغتررت إلى الخلق، أو شكوت من تقصيرك في العبادة، ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك.

وربّما أقمت نفسك على العبادة متكلفًا والله يريد الإخلاص.

وربّما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في غيب الله.

وربّما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه.

وربّما حسبت أنك ناصح للخلق، وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك.

وربّما ذممت نفسك، وأنت تمدحها على الحقيقة.

وأعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور، والتمني إلا بصدق الإنابة إلى الله، والإخبات له، ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم، ولا يتحمّله الدّين والشريعة، وسنن النبوة وأئمة الهدى، وإن كنت راضيًا بما أنت فيه، فما أحد أشقى بعمله منك وأضيع عمرًا، فأورثت حسرة يوم القيامة»[1].

المرتبة الثالثة:

معاداة الآخرين والعمل ضدهم..

إذا كان الإنسان الأناني في المرحلة الأولى من نشوء بذرة الأنانية يهتم بمصالحه الشخصية ولا يعد أدنى اهتمام لمشاكل المجتمع وقضاياه ثم ينتقل إلى المرتبة الثانية فتبرز لديه الصفات الأنانية كالتعصب والتكبر وحب الظهور والغرور فإنه في المرحلة الثالثة تبدأ أمراض الأنانية تنتقل من دائرته الشخصية لتصطدم مع الآخرين فيتصور أن الآخرين هم سبب الحد من حصوله على المزيد من المستلزمات

---

(١) المصدر السابق.

التي توفر له الإشباع لعاطفة حب الذات ويرى بقائه ورفاهيته وبروزه وانتصاره ونجاحه في إسقاط الآخرين وتحطيم شخصياتهم فيحاول أن يبني لنفسه شخصية ووجاهة على انقاض الآخرين ولهذه المضاعفات الناشئة من مرض الأنانية في المرتبة الثالثة مظاهر فإذا أردنا أن نعرف هل وصل شخصًا مصابًا بمرض الأنانية إلى المرتبة الثالثة التي تتلخص في معاداة الآخرين فإننا نلاحظ في سلوكه المظاهر التالية:

□ المظهر الأول..

تضخيم سلبيات الآخرين:

إن الشخص الأناني لا يتحمل أن يرى أشخاصًا أكثر منه قدرة وعلمًا ومنزلة إذ يعتبر ذلك منقصة له ودلالة على ضعف شخصيته وقدرته ومنزلته، فلكي يبرز في المجتمع كشخص عظيم وذي مكانة كبيرة يحاول أن يفتش عن سلبيات الأشخاص الأقدر منه عملًا وفكرًا، والمحترمين في المجتمع أكثر منه لكي يضخمها ويبرزها ليجعلها حجابًا يحجب بها ايجابياتهم ويشوّه شخصياتهم متصورًا أن هذا العمل سوف يجعل الآخرين يعتبرونهم أشخاصًا عاديين لا يتميزون عن غيرهم وبهذا يرتفع هو اجتماعيًا وينظر له على أنه الشخص المتميز.

وهكذا يحمل الإنسان الأناني على عاتقه مسؤولية نشر سلبيات الآخرين مضخمة وكشف عوراتهم.

ونلاحظ مثل هذا السلوك في أوساط الطلاب حيث يحاول بعض الطلاب تضخيم سلبيات الطلاب المتقدمين والمجتهدين في دروسهم ويفسرون تقدمهم تفسيرًا غير موضوعي فيعتبرون تقدمهم بسبب تمييز الإدارة أو المدرسين لهم أو يختلقون أسبابًا أخرى.

كما نلاحظ ذلك في التجمعات التي تخوض مجالات تنافس كالجماعات الدينية التي تعمل للإسلام وهذا أسوأ مكان تنتشر فيه مثل هذا السلوك لحساسيته ولتعاليم الإسلام التي تنادي بالتنافس الشريف والتعاون البنّاء على البر والتقوى، فحينما توجد في المجتمع جماعتان تعملان للإسلام إحداهما متقدمة على الأخرى فإن الأخرى تقوم بمهمة كشف سلبيات تلك الجماعة وإشاعتها حتى تسقط من أعين الآخرين فتبرز هي على أنقاضها.

إن خطورة مثل هذا السلوك يكمن أيضًا في أن الشخص أو الجماعة التي تحاول أن تلاحق سلبيات الآخرين وعيوبهم لتنشرها على الملأ هو غفلتها عن عيوبها وسلبياتها الذاتية، فالأنانية مشكلتها أنها تصور الشخص في ذاته خالٍ من كل العيوب، أما الإنسان السوي فإنه ينشغل بالتفتيش عن عيوبه وسلبياته الذاتية ليقوم

بإصلاحها بهذا التقدم ويفسح المجال للآخرين لكي يتقدموا أيضاً ويشير الإمام علي عليه السلام إلى هذا الأمر بقوله:

«من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره»[1].

ذلك أن الإنسان الذي يعرف عيوبه سيصبح إنسانا واقعيًا وسيعرف أن الخطأ عند الإنسان أمرًا فطريًا.

يقول الإمام علي عليه السلام مشيرًا إلى هذه الحقيقة أيضاً بقوله:

«لا تتبعن عيوب الناس فإن لك من عيوبك أن عقلت ما يشغلك من أن تعيب أحدًا»[2].

ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا تتبعوا عورات المؤمنين فإنه من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه، ولو في جوف بيته»[2].

بيد أن البعض يفعل أكثر من كشف سلبيات الآخرين بالافتراء عليهم وتضخيم سلبياتهم وهذا هو الأسوأ.

□ المظهر الثاني...

حسد الآخرين:

---

(١)، (٢) ميزان الحكمة/ ج٨/ ١٤١ -١٤٢.

(٢) ميزان الحكمة/ ج٨/ ١٤٨.

وهذا مظهر آخر يصاحب الإنسان الأناني حيث يندفع باتجاه حسد الآخرين وبتمني إزالة النعمة عنهم وسقوطهم من مكانتهم الرفيعة ليبقى هو صاحب المكانة والسمو والفرق بينه وبين الإنسان السوي هو أن الآخر حينما يرى خصلة جيدة في شخص أو إيجابية كوجاهة اجتماعية أو روح قيادية أو مستوى علمي... فإنه يغبطه ويحاول الوصول إلى مستواه وهذا يندرج تحت اسم الغبطة وهو مباح في الشريعة الإسلامية على العكس من الأول الممقوت والمحارب حيث يأمر الله سبحانه وتعالى الإنسان المؤمن الاستعاذة بالله منه بقوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ كمرض أخلاقي يؤثر في نفس صاحبه أكثر من غيره حيث تتركز مشاعر وعواطف وانفعالات الإنسان الحاسد حول تمني سقوط وزوال نعمة الإنسان الناجح أو المتقدم وكلما تقدم ذلك الإنسان ازدادت حالة الحاسد سوءًا ومرضًا.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«**الحاسد لا يشفيه إلا زوال النعمة**».

«**الحاسد يفرح بالشر ويغتم بالسرور**».

«**الحاسد يرى أن زوال النعمة عمن يحسده نعمة عليه**».

«**ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم وحزن لازم**».

وهكذا يفعل الحسد بصاحبه حيث يبدأ بجلب الحزن والهم والاضطراب في قلب الحاسد ومن هنا قال الإمام علي ﵇ أيضًا:

«**الحسد مطية التعب**».

«**الحسود كثير الحسرات متضاعف السيئات**».

للحسد دور رئيس في إزالة الإيمان من قلب المؤمن فلا يمكن أن يجتمع الحسد مع الإيمان لأن الإيمان يطالب صاحبه بالخير والفضيلة والعطف على الآخرين وتمني التوفيق والسداد والغنى لهم والمساعدة على قضاء حوائجهم بينما الحسد يعني بغض الآخرين وتمني إتعابهم واقلاقهم وقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى هذه الحقيقة.

يقول الإمام الباقر ﵇:

«**إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب**».

ويقول أيضاً:

«**إياكم أن يحسد بعضكم بعضًا، فإن الكفر أصله الحسد**»[١].

إن أفضل نصيحة يمكن أن تُعطى للأفراد والناجحين الذين يواجهون حسادًا هو مضاعفة أعمالهم ونشاطاتهم فهذا أسلوب ايجابي

---

(١) ميزان الحكمة/ ج٢/ ٤٢٢-٤٢٦.

لمواجهة الحساد حيث ينقلب حينئذٍ السحر على الساحر ويتحول الحاسد من مفترس إلى فريسة للقلق والمعاناة والصراع النفسي..

ومن القصص الطريفة التي تنقل في التاريخ أن الحجاج استدعى رجلين أحدهما حسود والآخر بخيل وقال لهما: ليطلب كل منكما طلبة فإني أعطيه ما طلب وأعطي صاحبه ضعف طلبته، فإذا طلب أحدكما ألف دينار فإني أعطي الآخر ألفي دينار فليبدأ أحدكما بالطلب فذب التردد في نفسيهما وأخيرًا تقدم الحسود وقال: أي طلبة أطلبها تعطي لصاحبي ضعفها؟ قال الحجاج: نعم. فقال الحسود: أيها الأمير اطلب أن تفقأ عيني اليسرى، فقال الحجاج: لماذا؟ فرد الحسود: لكي تعطي صاحبي ضعف ما تعطيني فتفقأ عينيه. فقال الحجاج: أما رأيت طلبة إلا هذه الطلبة، لماذا لم تطلب مالًا أو منصبًا حتى تستفيد منه. فقال الحسود: والله إن تفقأ عيني أهون من أن أرى صاحبي يأخذ ضعفين وأنا آخذ نصف ما أخذ.

المظهر الثالث..

وضع العقبات والعراقيل في سبيل تقدم الآخرين..

حينما يعجز الإنسان الأناني عن إحداث الفشل في مسيرة الآخرين وتحطيم إنجازاتهم ومكاسبهم عبر الحسد وإشاعة سلبياتهم

مضخمة فإنه يلجأ إلى أساليب أشد خطورة حيث يبدأ الشيطان بتشجيعه على معاداة الآخرين والوقوف أمام تقدمهم بوضع العراقيل والعقبات في مسيرتهم وتتحول مهمته في الحياة من تطوير ذاته إلى تحطيم الطرف المقابل وحينما تتتبع برنامجه اليومي تراه يزخر بفقرات الوقوف أمام تقدم الأشخاص الآخرين عليه بإتباع أساليب غير أخلاقية تمامًا كالأشخاص الذين يدخلون في سباق رياضي حيث يلجأ بعض المشجعين من أجل أن يتقدم الأفراد المؤيدين لهم بقذف الحجارة وضرب الأشخاص الآخرين المتقدمين في السباق لكي يتسنى للمتعاطفين معهم أن يتقدموا على خصمهم، إن معاداة الآخرين مرض نفسي حذر منه الإسلام لما له من دور في تحطيم مسيرة التقدم الاجتماعية حيث ينحصر تفكير كل شخص بتحطيم الأشخاص الآخرين ويبتعد عن الأعمال الإنتاجية والإيجابية التي تعمل على تقدم المجتمع برمته.

يقول رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

«ماعهد إليَّ جبرائيل(عليه السلام) في شي ما عهد إليَّ في معاداة الرجال»[1].

---

(١) ميزان الحكمة / ج٦/ ٩٢.

«إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن»[1].

وتزداد خطورة معاداة الآخرين حينما تحدث بين العاملين على الصعيد الإسلامي ممن يرغبون في نشر الإسلام وتعاليمه وتطبيق حكم الله في الأرض حيث إن الأناني أو الأنانيون الذين يريدون أن يحتكروا الساحة لأنفسهم دائمًا في صراع مع الأطراف الأخرى المنافسة لهم مما يضعف جبهة الحق ويقوي جبهة الباطل ذلك أن المعاداة بين الإسلاميين هو إضعاف لهم وهذا المظهر في الواقع هو مظهر من مظاهر تخلف المسلمين.

هذه هي المراتب الثلاث التي يتدرج فيها الإنسان الأناني بدءًا من التمحور حول الذات ومرورًا ببروز الأخلاق والصفات الأنانية السيئة وانتهاءًا بمعاداة الآخرين.

---

(١) ميزان الحكمة/ ج٣/ ٤٥.

الفصل الرّابع

الوقاية والعلاج.

الوقاية والعلاج

أن يحب الإنسان ذاته، فيدفع عنها الأسوأ، ويجلب لها المنافع، ويعمل لإسعاد نفسه وتقدمها، فذلك أمر طبيعي.

والإسلام لا يريد من الإنسان أن يضر بنفسه، أو يبغض ذاته، بل إن تعاليمه القيّمة تحذّر الإنسان من تعريض نفسه للهلاك والخطر ﴿**وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ وتحمّله مسؤولية الدفاع عن ذاته والاهتمام برعايتها قبل كل شيء ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة ١٠٥).

ولكن كيف يحمي الإنسان ذاته؟ وكيف يضمن السعادة والخير لنفسه؟

قد يتصور البعض أنه لو ترك له الخيار، وفسح له المجال لتلبية رغبات نفسه وشهواتها فذلك هو الطريق الأفضل لإسعاد النفس ومصلحة الذات.. وهذا تصور خاطئ يشبه إلى حدٍّ بعيد رغبة الطفل في أن تعطى له الحرية الكاملة ليعمل ما يشاء ويعبث كيفما يريد!! إن الطفل قد يعجبه اللعب بالنار التي تحرقه، وقد يرغب بأكل التراب الذي يؤذيه، كما قد ينزعج من تناول الدواء، وتلقي الدراسة والعلم!! أليس كذلك؟

وظيفة التعاليم الإلهية، والتوجيهات الدينية أن ترشد الإنسان إلى الطريق الصحيح والسليم لإسعاد ذاته، وتبين له موارد الخير عن مهاوي الشر..

أما الأنانية المقيتة فهي خداع وضلال، حيث يهلك الإنسان نفسه ظنًا منه أنه يسعدها، ويضر بمستقبله ومصلحته توهمًا منه أنه يخدم ذاته!!

والسؤال الآن هو: كيف يقي الإنسان نفسه من هذا المرض الخطير؟

وكيف يتخلص من داء الأنانية من ابتلي به؟

أولاً: الرؤية السليمة:

فنظرة الإنسان الخاطئة المحدودة للدنيا هي التي تخلق الأنانية في نفسه وتنمي لديه السلوك والخلق الأناني، أما إذا اتسعت رؤية الإنسان، وكانت صافية نقية، فسوف يتجاوز ذاته، ويهتم بغيره، وهو بذلك يضمن الخير والمستقبل لنفسه أولاً وبالذات..

والرؤية السليمة الصحيحة إنما يستلهمها الإنسان من تدبره في آيات القران الحكيم والأحاديث الشريفة.

فالآيات القرآنية والنصوص الدينية تذكر الإنسان بالقسم الآخر والأكبر لحياته، وهو الدار الآخرة، وتؤكد له بأن الحياة الدنيا ما هي إلا مقدمة ومعبر محدود صغير، وأن كل ما يراه في الدنيا من متع ولذات ومصالح لا قيمة لها تجاه ما في الآخرة من نعيم، وما يعانيه ويلاحظه من مشاكل وآلام وعذابات في الدنيا لا توازي ذرة من عذاب وعقاب جهنم الآخرة..

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(التوبة ـ ٣٨).

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾(الضحى ـ ٤).

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(الأعلى ١٦/ ١٧).

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾(القيامة ٢٠/ ٢١).

كما توجه النصوص الدينية نظر الإنسان إلى اللذات المعنوية والروحية إلى تحصيل محبة الله ورضوانه، والقرب من رحمته ولطفه، فما قيمة اللذات المادية ومصالح الدنيا باجمعها إلى جنب حب الله ورضاه؟

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾(البقرة ـ ١٦٥).

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(التوبة ـ ٢٤).

وحتى نعيم الجنة وخيراتها تتضاءل أمام تلذذ المؤمن وسعادته برضا ربه عنه، يقول تعالى:

﴿وعَدَ الله الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة ـ ٧٢).

وتعاليم الإسلام تربي الإنسان وتدفعه إلى تحسس آلام الآخرين

وقضاء حوائجهم والاهتمام بأوضاعهم. فالأنانية حالة مناقضة لتوجيهات الإسلام وسلوك مغاير لمناهجه، حيث لا يمكن أن يجتمع الإيمان والأنانية في شخصية الإنسان، وإذا ما تظاهر الأناني بالتدين فإنه تدين قشري كاذب لا حقيقة له..

ففي الحديث الشريف:

«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».

ويقول تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾(الماعون)

وبالتدبر في آيات القران الحكيم والأحاديث الشريفة يتضح للإنسان أن الشخصية المؤمنة من صفاتها الأساسية الاهتمام بالآخرين وتحمل المسؤولية الاجتماعية وخدمة الغير ففي الحديث الشريف:

«خصلتان ليس فوقهما من البر شيء الإيمان بالله والنفع لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء الشرك بالله والضر لعباد الله»[1].

---

(١) ميزان الحكمة/ ج٥/ ص٤٢.

وفي حديث آخر:

«ما آمن بى من بات شبعانًا وجاره المسلم جائع».[1]

وحتى في مجال الدعاء فحينما يطلب الإنسان المؤمن من ربه حاجاته فإن الأدعية المأثورة الواردة تعلمه وتربيه على ذكر حاجات الآخرين والتوجه إلى الله من أجل أدائها وقضائها:

فمن الأدعية المهمة في شهر رمضان المبارك مثلاً:

«اللهمَّ أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغنِ كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكسِ كل عريان، اللهم اقضِ دين كل مدين، اللهم فرِّج عن كل مكروب، اللهم رُدَّ كل غريب، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من أمور المسلمين، اللهم اشفِ كل مريض، اللهم سُدَّ فقرنا بغناك... إلى آخر الدعاء»..[2]

والأنانية إنما تنمو عند الإنسان حين يغفل عن التدبر في القرآن الحكيم والتتلمذ على النصوص والتعاليم الدينية، وإذا كان المادّيون يعانون من الروح الأنانية أمر طبيعي لأن المادة تسيطر على قلوبهم، ولأنهم حرموا أنفسهم من أجواء الإيمان ونفحات الرسالة، ولكن

---

(١) ميزان الحكمة/ ج٢/ ص١٩٤.

(٢) مفتاح الجنان/ ص١٧٧.

ما هو عذر الإنسان المسلم؟ ولماذا يتفشى داء الأنانية في أوساط المسلمين وبين صفوف أمة القرآن؟

ليس الأمن غفلة المسلمين عن تعاليم دينهم وتوجيهات ربهم.

ولكي نحارب الأنانية في مجتمعاتنا يجب أن نبث تلك الرؤى الإسلامية الصحيحة، ونوجه الناس دائمًا نحو البعد الآخر لحياتهم..

ثانيًا: الوعي الاجتماعي:

الإنسان باعتباره جزءًا من المجتمع الذي يعيش فيه فإنه يتأثر بأوضاع ذلك المجتمع، فلا تستطيع الإنسان أن يصنع عالمًا خاصًا من السعادة والراحة يعيش فيه وحده، فهناك رأي عام وجو سائد في المجتمع يؤثر على كل أفراده بنسبة أو بأخرى، وهناك تفاعل وتأثير متبادل بين الفرد والمجتمع. والأناني يتوهم ويتصور خطأً أن بإمكانه أن يسعد ويريح نفسه دون أن يأخذ بعين الاعتبار محيطه ومجتمعه.

فمثلًا الناحية الدينية والأخلاقية لو فكر الفرد أن يصلح ذاته فقط دينيًا وأخلاقياً ولا شأن له بالآخرين فهل يسلم من تأثيرات الآخرين؟ كلا. فإن الفساد والانحراف إذا فشا في المجتمع فسيتسرب إلى داخل بيته وسيؤثر على أولاده إن لم يؤثر عليه، وقد

يصل الفساد والانحراف إلى مستوى يقيد فيه حرية الفرد المتدين من ممارسة تدينه وصلاحه وهذا هو معنى حديث الإمام علي عليه السلام في وصيته للحسنين:

«لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[1].

ومن هنا أصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان شرعيتان حيث لا يكتفي الإسلام من الإنسان بأن، يصلح ذاته فقط بل يطالبه بالعمل والسعي لإصلاح الآخرين.

ومثال آخر على الصعيد الاقتصادي: فلو فكر إنسان في توفير الثروة لنفسه، وتحصيل وسائل الراحة والرفاهة، ولم يهتم بأوضاع من حوله من الفقراء والمحتاجين، فإنه لن تتحقق له الراحة والسعادة، ذلك لأن الفقر والحاجة يلجأن بعض العناصر في المجتمع إلى التمرد والثورة فتتكون جماعات المقاومة لأصحاب الثروات، وعصابات السرقة والخطف والنهب..

وما نراه الآن في الغرب لدى المجتمعات المادية من مؤسسات خيرية واجتماعية، إنما هو نتيجة لشعورهم وإدراكهم بردود فعل الفئات الضعيفة والمحتاجه على مستوى العالم والتي تؤثر على

(١) نهج البلاغة/ كتاب٤٧.

مصالحهم واستقرارهم، وإن كانت هناك إشكالات وملاحظات كثيرة على تلك المؤسسات، ولكن ما نستشهد به هنا هو أن دافعهم إليها ليس دينيًا وأخرويًا وإنما لدرء الأخطار الدنيوية.

إن من يحمل وعيًا اجتماعيًا، ويدرك تفاعل الأوضاع داخل المجتمع، والتأثير المتبادل بين الفرد ومجتمعه لا يكون أنانيًا. أما تحصيل هذا الوعي فيأتي عبر توجيهات الإسلام والثقافة والمعرفة، وبالتأمل في تجارب الحياة..

ومسؤولية المفكرين والموجهين الواعين أن ينشروا الوعي الاجتماعي ويوضحوا للناس ارتباطهم وتفاعلهم مع مجتمعهم ومحيطهم.

ثالثًا: المعادلات الغيبية:

ليست كل شؤون الحياة وقضاياها تخضع للمعادلات المادية الواضحة أمامنا فقط. فهناك معادلات وتأثيرات غيبية لا يمكن لنا رصدها بأجهزة الكمبيوتر كما نرصد أسعار الذهب وتأثيرات انخفاض أو زيادة إنتاج النفط..

ولكن ما نراه بالتجربة وما تؤكده لنا النصوص الدينية هو أن اهتمام الإنسان بالآخرين وعطاءه لهم يجلب له الخير ويبعد عنه

الكثير من الأخطار بينما تجاهله للآخرين وإعراضه عن مساعدة المحتاجين، يجعله عرضة للشرور والأخطار..

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

«**الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير، وأن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة**»[١].

وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم):

«**إن لله عبادًا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله عنه وحولها إلى غيره**»[٢].

وعن ابن عباس: عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

«**الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله تعالى لكم**»[٣].

وهناك قصة جميلة تبين نتائج العطاء على المعطي وبشكل لا يتوقعه:

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها، إذ أتى الغلام بقوته، ودخل حائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثاني

---

(١) نهج المحجة/ ج٦/ ص٦٠.

(٢) نفس المصدر السابق/ ص٦١.

(٣) نفس المصدر السابق/ ص٧٢.

والثالث فأكله، وعبد الله بن جعفر ينظر فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟

قال: ما رأيت.

قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟

قال: ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعًا فكرهت ردّه.

قال: فما أنت صانع اليوم؟

قال: أطوي يومي هذا.

فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء، أن هذا الغلام لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات واعتق الغلام ووهبه له»[1].

ومن أوضح مصاديق تأثيرات الغيب في هذا المجال صلة الرحم فقد تواترت الأحاديث وتكررت التجارب حول نتائج صلة الرحم ومضاعفات قطع صلة الرحم فعن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم):

«**صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر**»[2].

---

(١) نفس المصدر السابق/ ص٨٠.

(٢) ميزان الحكمة/ ج٤/ ص٨٤.

ونظر الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى رجل معمّر يقال له: ميسّر. فقال له: يا ميسّر لقد زيد في عمرك فأي شيء تعمل؟

قال: «**كنت أجيرًا وأنا غلام بخمسة دراهم فكنت أجريها على خالي**»[1].

ومظهر آخر للمعادلات الغيبية: تأثير الصدقة على الفقراء والمحتاجين فعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**الصدقة تسدّ سبعين بابًا من الشر**».

«**الصدقة تدفع الأعراض والأمراض، وهي زيادة في أعماركم وحسناتكم**»[2].

والتفت الإمام جعفر الصادق عليه السلام يومًا لابنه محمد قائلًا: يا بني كم تبقى من تلك النفقة؟

قال: أربعون دينارًا.

قال: اخرج فتصدق بها.

قال: إنه لم يبق معي غيرها.

قال: تصدّق بها، فإن الله عز وجل يخلفها، أما علمت أن لكل شيء مفتاحًا ومفتاح الرزق الصدقة؟ فتصدق بها.

(١) المصدر السابق/ ص٨٥.

(٢) المصدر السابق/ ص٣٢١.

قال ففعلت. فما لبث أبو عبد الله إلا عشرة أيام حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينارًا[1].

وكذلك الحال بالنسبة لقضاء الحاجة فمن ساعد أخاه في مهامه وقضاياه المستعصية فإن الله تعالى يساعده في حل مشاكله وقضاء حوائجه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه»[2].

فإذا كان الإنسان يحب ذاته ويريد خيرها وسعادتها فالطريق الأفضل والأسلم هو الاهتمام بالآخرين، ومساعدة الغير، أما الانكفاء على الذات، والأنانية الضيقة فإنها تحطم الذات، وتسبب الخسران.. فالحياة ليست كلها معادلات مادية واضحة حتى يخدم الإنسان ذاته من خلالها فهناك معادلات غيبية هي أشد تأثيرًا لا بد من مراعاتها، وخدمة الغير هي معادلة مؤثرة من معادلات الغيب..

رابعًا: حياة الكرماء ومصير الأنانيين:

يعيش الإنسان في هذه الحياة مرة واحدة، ولا يتسنى له أن يعود

(١) المصدر السابق/ ص/ ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق/ ج٢/ ص٥٣٧.

إليها ليستفيد من تجربته الأولى:

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَـلِحاً فِيَما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾(المؤمنون ٩٩/ ١٠٠)

ولكن يستطيع الإنسان أن يستقرأ حياة الآخرين فيستفيد ويتعظ من تجاربهم..

لقد عاش في هذه الدنيا مليارات من البشر وحسب آخر إحصائية للمعهد الوطني لدراسة إحصائيات الشعوب في فرنسا أن عدد البشر الذين عاشوا على وجه هذه الأرض منذ بدء الخليقة والى الآن هو ٨٠ مليار نسمة.

ويتحفظ لنا التاريخ بأبرز النماذج الخيرة والشريرة من أبناء البشرية وبدراسة حياة تلك النماذج حسب اهتمامات الإنسان، يمكن تحصيل الكثير من التجارب والعظات التي يصنع الإنسان حياته على ضوئها وهديها.

فهناك صفحات مضيئة مشرقة سجلها المعطاؤون بكرمهم وتضحياتهم من اجل القيم وخدمتهم للآخرين.. وهناك ملفات سوداء عن الأنانيين الذين أصبحوا لعنة التاريخ..

ولا يمكن لعاقل يطّلع على سير الكرماء والمصير الأسود للأنانيين ثم يختار لنفسه السلوك الأناني.

يقول أحد العلماء المراجع:

ذات يوم أرسلت إلى ثري أن يبني مشروعاً في كربلاء العراق أي مشروع أحب من مدرسة أو مكتبة أو دار أيتام أو حسينية أو مسجد أو.. فقال الثري لصديقه الرسول: بلغ سلامي إلى السيد وقل له: الآن ظروفنا حرجة، وأنا لا أقدر على تنفيذ المشروع! وكم كان يكلفه المشروع؟ خمسة آلاف أو عشرة آلاف في أبعد تقدير، ولم تمضِ مدة ستة أشهر إلا ومات الثري وأخذت الحكومة من ارثه ضريبة تصاعدية بمبلغ (مليون وثمانمائة ألف دينار)!!

وذات يوم تبرع جمع من التجار لأجل شراء دار لأحد العلماء، واشتروا الدار بأقل من ألف دينار، وساهم في المشروع ثري تقدر ثروته بأكثر من مليون دينار ولكن مساهمته لم تتجاوز عشرين ديناراً.

وذات يوم كنت مدعواً في دار الثري، فأظهر أحد الحاضرين أن نفس ذلك العالم بحاجة ملحة فله عائلة و... فاهتاج ذلك الثري الذي ساهم بعشرين ديناراً (من الخمس) قائلاً: هذا لا يكون فهل نتمكن نحن أن نبذل كل يوم؟ وأردف بكلمات أقسى... ثم رأيت ذلك الثري قد كسحته اشتراكية عبد السلام عارف، وهو يتلوى كما يتلوى الملدوغ، وسلط عليه من أقربائه من لم يرحمه، ففكرت أنه

وأمثاله لو كانوا يعلمون بصورة جادة لئلا يروا هذا اليوم لما رأوه[1].

إن أمتنا الإسلامية تعيش اليوم معركة الصراع والتحدي مع الاستكبار العالمي والتخلف الداخلي وإذا ما بقيت أمتنا على تأخرها وتحت هيمنة المستكبرين، فإن المآسي والآلام ستشمل جميع أبناء الأمة ولن يسلم منها حتى الأنانيون..

وتغيير وضع الأمة، وإنقاذها من حضيض التخلف والتبعية، يحتاج إلى جهد وعمل تضحوي، تشارك فيه كل الطاقات والفعاليات، ولكن الأنانية تشكل عقبة كأداء، تمنع الكثيرين من طاقات الأمة من المشاركة في معارك الصراع والتحدي. حيث يهتم البعض بمصالحهم الشخصية وقضاياهم الخاصة المصلحية غير مبالين بواقع أمتهم وأوضاع بلادهم ومجتمعهم..

وما لم تأخذ روح المسؤولية موقعها في نفوس أبناء الأمة ويكونون مصداقاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فلن تتغير أوضاع أمتنا وبلادنا فإن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد ١١)

---

(١) أنفقوا لكي تتقدموا للسيد الشيرازي/ ص٩.

وأول تغيير تحتاجه نفوسنا هو انتزاع حالة الأنانية والتحلي بروح العطاء والاهتمام بالمصلحة العامة.

وبحمد الله فقد استجابت طلائع الأمة لنداء ربها، وتفاعلت قطاعات كبيرة من جماهير الأمة مع الصحوة الإسلامية المباركة وكلنا أمل بتوفيق الله ونصره لكي يستعيد المسلمون عزّتهم وكرامتهم في ظل الإسلام إن شاء الله.

محتويات الكتاب

صدر من السلسلة

١. مسؤولية الشباب.
٢. خطر السقوط.
٣. المرأة مسؤولية وموقف.
٤. رمضان برنامج رسالي.
٥. رمضان وقضايا الثورة.
٦. الجماهير والثورة.
٧. الثورة والإرهاب.
٨. فلنحطم الاغلال.
٩. النفس منطقة خطر.
١٠. النضال على جبهة الثقافة والفكر.
١١. رمضان دعوة لضيافة الله.
١٢. لكي لا نحتقر أنفسنا.
١٣. القلب حرم الله.
١٤. فئات العمل الرسالي.
١٥. رسالة المجالس الحسينية.
١٦. الانانية وحب الذات (بين يديك).

يهدى ثواب طبع الكتاب
إلى المرحوم الحاج حميد بن جعفر
رحمه الله